

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

الإخفاقات الأمنية في التعامل مع عشائر دير الزور



ترجمات

9 نوفمبر 2020

ترجمات



الإخفاقات الأمنية في التعامل مع عشائر دير الزور

نشر "معهد الشرق الأوسط" دراسة بعنوان (Assad: Courting the Tribes of Deir ez-Zor) بتاريخ 3 نوفمبر 2020 ، أشار فيها الباحثان (Kayla Koontz, Gregory Walters) إلى فشل كل من النظام والإدارة الذاتية الكردية في ضمان ولاء العشائر المحلية بدير الزور، وسط تنامي هجمات "داعش"، الأمر الذي يمنع تحقيق الأمن والاستقرار في المحافظة المنكوبة.

وأشارت الدراسة إلى أن النظام قد حاول استمالة عشائر المنطقة بهدف شن المزيد من الحملات العسكرية في إقليم الجزيرة، وقد ضاعف ظهور تنظيم "داعش" (2014) من البعد العشائري، حيث حرص النظام على استبعاد وجود طرف ثالث في الصراع، ما أجبر أبناء العشائر على الاختيار بين بشار الأسد أو "داعش"، وذلك بالتزامن مع قيام أجهزة استخباراته بحملة ضخمة لتجنيد عشائر حمص والرقعة ودير الزور في ميلشيات موالية يقودها شيوخ من العشائر الموالية.

واتبعت "قوات سوريا الديمقراطية" الإستراتيجية ذاتها عندما دخلت تلك المناطق، حيث عمدت إلى استرضاء العشائر عبر ضمهم إلى المجلس العسكري لدير الزور، ووعدت بمنحهم حصة في التمثيل السياسي، لكن ذلك لم يخفف من سخط العشائر التي اتهمت الإدارة الذاتية الكردية بالفساد وبالمحسوبية في توزيع عائدات النفط، وبشن حملات اعتقالات في صفوف المدنيين العرب بحجة الخدمة العسكرية، وفشلت الإدارة الذاتية الكردية بدورها في التخفيف من وتيرة الاحتقان نتيجة غياب مشاريع الإصلاح السياسي وفشلها في تحقيق الأمن والاستقرار.

وتضطلع "قسد" في الوقت الحالي بمهمة مزدوجة تتمثل في: توسيع وجودها في المحافظة ذات الأغلبية العربية من جهة، وإقامة علاقة إيجابية مع العشائر من جهة ثانية، وذلك في ظل امتناع قوات التحالف الدولي عن التعامل المباشر مع الشخصيات العشائرية، ومعالجة الهوية الواسعة مع المكون العربي المتذمر من تنامي حملات تنظيم "داعش" ومن قيام النظام بتأجيج مشاعر السخط ضد الإدارة الذاتية الكردية بدير الزور.

ورأت الدراسة أن دعم القبائل المحلية هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة للنظام الذي يعمل على استعادة شرعيته وتعزيز سيطرته في البلدات التي كانت تخضع لحكم "داعش"، حيث اعتمد النظام على زعماء العشائر لتأمين سيطرته الاجتماعية والسياسية، واستشهدت بالبيان الذي أصدره الشيخ إبراهيم الداير (أكتوبر 2017) بالنيابة عن قبيلة "الشعيطات"، والذي أكد فيه أن ميلشياته هي الجهة الوحيدة المخولة بدخول قرى الشعيطات بعد طرد التنظيم المتطرف منها.

وتمثل علاقة "الشعيطات" بالنظام مؤشراً على براغماتية النظام ولجوئه إلى القوى المحلية والقيادات العشائرية لبسط سيطرته، حيث أتاحت قوات النظام الفرصة للشعيطات للثأر من جرائم "داعش"، ومنحتهم حوافز سياسية واقتصادية مقابل اعترافهم بسيطرتها في المنطقة، علماً بأن عدداً كبيراً من أبناء تلك العشائر كانوا يقاتلون في صفوف "الجيش الحر"، لكنهم تركوه وانضموا إلى قوات الأسد لمحاربة التنظيم المتطرف في دير الزور.

وذكر الباحثان بالمجزرة التي اقترفها التنظيم ضد "الشعيطات" حينما قتل منهم 700 رجل من المدنيين والمقاتلين، ما أدى إلى انقسام العشيرة على نفسها بين الولاء للنظام و"قسد"، ومنهم على سبيل المثال عبد الباسط خلف الشعيطات الذي كان يقود فصيلاً في "الجيش الحر" ثم هجره وشكل ميلشياً "أسود الشرقية" الموالية للحرس الجمهوري بعد تلك المجزرة.

كما قام عناصر من عشيرة "البوسرايا" (التي يتركز تواجدها على طول الحزام الممتد من مدينة دير الزور إلى معدان شمالاً، وعلى طول طريق دير الزور-دمشق غرباً) بدعم الأجهزة الأمنية، حيث انتقل عدد من أبناء تلك العشيرة من "جبهة النصر" و"أحرار الشام" و"داعش" إلى ميلشيات موالية للنظام بقيادة الشيخ الرسمي للقبيلة، مهنا فيصل أحمد الفياض، والزعيم البارز الشيخ أحمد شلاش، المؤيد بشدة لبشار الأسد.

واعتمد النظام على عشيرة "البوسرايا" في إنشاء ميلشيا "الدفاع الوطني" التي اكتسبت طابعاً قبلياً في دير الزور، وشكلت رأس الحربة في عملياته لاستعادة السيطرة على بعض المناطق عقب القضاء على تنظيم "داعش"، ولا يزال فراس جهام، قائد قوات الدفاع الوطني بدير الزور، يعتمد على العنصر القبلي في قيادة القطاعات الرئيسية وفي عمليات التجنيد، حيث ينخرط عدد كبير من أبناء العشائر في تلك الميلشيا لأسباب اقتصادية، ولتجنب ملاحقة الأجهزة الأمنية لهم وإعفائهم من أداء الخدمة العسكرية.

وفي وصفه لتعامل ميلشيا "الدفاع الوطني" مع أبناء العشائر، نقلت الدارسة عن أحد عناصرها قوله: "قد يتعرض الرعاة والسكان المحليون للمضايقات من قبل الميلشيات، ومن قبل الحرس الثوري، ومن قبل قوات النظام التي تعاملهم على أنهم متخلفون وبسيطون، ولكن ذلك لا يحدث أبداً مع قوات الدفاع الوطني تحت قيادة فراس جهام لأنه من منطقتهم ويعرف كيف يعالج الأمور المستعصية".

وعلى الرغم من خضوع ميلشيا الدفاع الوطني لرئيس اللجنة العسكرية في محافظة دير الزور وقائد اللواء (71) اللواء غسان سليم محمد، إلا أن العلاقة بينه وبين فراس جهام غير ودية، وذلك لأن الأخير ينشد الاستقلالية بينما يرغب اللواء غسان في إبعاد جهام وإخضاع "الدفاع الوطني" لسيطرته المباشرة، الأمر الذي اضطر الروس للتدخل في أكثر من مناسبة بهدف تخفيف الاحتقان بين جهام وغسان، ويبدو جلياً أن ميلشيا الدفاع الوطني وقوات النظام غير قادرين، أو غير راغبين، في شن عمليات مشتركة ضد تنظيم "داعش" في المحافظة.

ونظراً لامتناع اللواء غسان سليم عن دعم فراس جهام، فقد تعرضت ميلشيا "الدفاع الوطني" لهجمات متعددة من تنظيم "داعش"، ففي 27 أغسطس الماضي، نصب عناصر التنظيم كميناً لمجموعة من مقاتلي الدفاع الوطني ما أدى إلى مقتل نحو 15 عنصراً، منهم قائد القطاع الغربي نزار خرفان، دون أن تتدخل قوات النظام لمساعدتهم، ودفع ذلك بعناصر عشيرة "البوسرايا" في "لواء القدس" و"كتائب قاطرجي" إلى الانضمام لرجال العشائر المحليين الذين حشدتهم شيخ البوسرايا -الفياض- لشن عمليات ضد "داعش" دون مساندة قوات النظام.

وكان التنظيم قد نفذ في الفترة مايو-أغسطس حملة شرسة ضد السكان المحليين والميلشيات الإيرانية، وخاصة في القرى التي تقطنها عشيرة "البوسرايا"، ما أدى إلى مقتل القائد خرفان ورفاقه، وعمق من الشرخ القائم بين تلك العشيرة والنظام، حيث شكل الشيخ الفياض وحدة عشائرية جديدة مستقلة عن النظام، أطلق عليها "قوات مقاتلي عشائر البوسرايا" بهدف قتال تنظيم "داعش" دون دعم من النظام.

ونقلت الدراسة عن أحد عناصر "الدفاع الوطني" تأكيده أن محاولات التنسيق بين الميليشيا التي يتبع لها مع اللواء (17) بقيادة اللواء غسان محمد قد باءت بالفشل، حيث يتذرع اللواء غسان بأن قوات النظام بحاجة لمزيد من التدريب، وخلال فترة المماثلة هذه قتل ما لا يقل عن ثمانية عناصر من "الدفاع الوطني" باشتباكات مع "داعش"، فيما ينشغل قائد اللواء (17) بتعزيز سيطرته من خلال جلب مجندين جدد، معظمهم من الشباب الذين يتم توقيفهم على نقاط التفتيش في مناطق غرب سوريا.

ونظراً لاتساع الفجوة مع عشائر دير الزور، فقد لجأ النظام إلى تعيين اللواء نزار خضور من الفيلق الخامس، نائباً لقائد اللواء (17)، وينحدر خضور من عشيرة "البوسرايا"، وهو مقرب من الروس كذلك، وربما يرغب النظام لاحقاً في تعيينه بديلاً عن اللواء غسان، كونه يتمتع بدعم عشائري محلي.

في هذه الأثناء يعتمد فراس الجهام إلى توسيع نفوذه من خلال كسب تعاطف ودعم العشائر القاطنة في مناطق سيطرة "قسد"، فعلى إثر اغتيال شيخ عشيرة العقيدات، مطشر حمود جدعان الهفل، ظهر الجهام في بيان مصور دعا فيه إلى وحدة العشائر في مواجهة القوات الأمريكية و"قسد"، كما قام بحملة علاقات عامة مع مختلف عشائر المنطقة، حيث التقى أعضاء مجلس الشيوخ وزعماء العشائر في دير الزور، وذلك بهدف إفشال المحاولات التي بذلها قائد "قسد" مظلوم عبدي لاستئصال قبائل المنطقة وتعهده لهم بمعالجة الأوضاع الأمنية والإفراج عن معتقليهم لدى الأكراد.

وكما هو الحال في العلاقات بين العشائر والنظام؛ فإن ولاء المكون العربي المتعاون مع "قسد" يبدو غير مستقر، فالعقيدات هو اتحاد قبلي يضم "الشعيطات"، ويرتبط ارتباطاً فضفاضاً بالبوسرايا، ويمثل أكبر سلطة عشائرية في المنطقة، وعلى الرغم من تحالفهم مع "قسد" لمحاربة "داعش" إلا أن شخصيات قيادية منهم أعلنت تمرداً، وذلك نتيجة تعرضهم لهجمات "داعش" في المنطقة الشرقية دون تحرك "قسد" لمساعدتهم، وقد أجمعت اغتيال الهفل التوتر بين قبائل الدير والإدارة الذاتية، حيث اندلعت مظاهرات ضد "قسد" في بلدات: الشحيل، وذيبيان، والحويج، والبصيرة، والميادين، وأصدرت عشيرة "العقيدات" إنذاراً بضرورة كشف التحالف و"قسد" عن القاتلين في غضون شهر، واستمرت المظاهرات عدة أيام ما دفع بعناصر "قسد" إلى الانسحاب من مواقعهم لتجنب الاشتباك مع المتظاهرين.

وعلى الرغم من عودة الهدوء بعد اغتيال الهفل إلا أن الانفلات الأمني قد ألقى الضوء على الوضع المتردي لعشائر دير الزور في مناطق سيطرة "قسد"، حيث تواجه الإدارة الذاتية مشكلة تتعلق بالشرعية المحلية أكبر مما هو عليه الحال في المحافظات الأخرى، ولا يوفر الوضع الاقتصادي الصعب سوى هامش ضئيل لتأمين سبل عيش السكان المحليين، فيما تنقسم العشائر إلى فصائل وائتلافات مستقلة عن بعضها، وقد أثبت الجهاز الأمني لقسد فشله في احتواء الأوضاع.

ونقل الباحثان عن مظلوم عبدي تشاؤمه أثناء حديثه معهما في شهر يوليو الماضي، مؤكداً لهم أن "قسد" لن تتمكن من خفض الهجمات شمال شرق سوريا، خاصة وأن عمليات التحالف ضد "داعش" ستسهم في زيادة الهجمات، ويؤدي هذا العجز الأمني إلى تقليل الحوافز لدى العشائر للعمل مع "قسد".

وتعاني قوات "قسد" في الوقت الحالي من نقص الموارد التي تمكنها من تجنيد المزيد من المقاتلين ومن تطوير شبكاتها الاستخباراتية في المنطقة الشرقية، ما يدفعها إلى الاعتماد على الهياكل التي أوجدها تنظيم "داعش" لتجنيد أبناء العشائر كمخبرين لمكاتب التنظيم الأمنية، ما أدى بدوره إلى ورود معلومات استخباراتية غير موثوقة، وإنفاق موارد لمحاربة داعش في مناطق لم يكن التنظيم يتواجد فيها، بالإضافة إلى زيادة الخسائر في صفوف المدنيين.

وعلى الرغم من أن الاعتقالات في صفوف السكان المحليين توجب الاستياء العربي، إلا أن "قسد" تبدو مستمرة في هذه السياسة الرعناء، ففي 8 سبتمبر الماضي قام عناصر "قسد" باعتقال رئيس مجلس دير الزور المدني، وفي اليوم نفسه قتلوا شخصاً واعتقلوا ستة آخرين في قرية "جديد عقيدات"، وتمت تلك الاعتقالات على خلفية شكوى رجال عشيرة "الشعيطات" المسجونين بشأن قطع الأرباح النفطية هي نقطة خلاف متكررة، حيث يحتج سكان دير الزور بشكل متكرر على سياسة "قسد" في توزيع الوقود وفي تقسيم عائدات النفط.

وللتعامل مع حالة الانفلات الأمني؛ أمهلت عشيرة العقيدات "قسد" شهراً لمعالجة مسألة الاغتيالات التي تطال وجهاءهم، ولدى فشل الإدارة الذاتية في الاستجابة لهم بادروا إلى تشكيل قوة أمنية عشائرية محلية مستقلة عن "قسد".

واستنتجت الدراسة أن الهياكل المجتمعية المحلية تشكل المصدر الوحيد لتحقيق الأمن على ضفتي الفرات، سواء أكان ذلك من خلال مجلس الدير العسكري التابع لقسد أو من خلال ميليشيات الدفاع الوطني التابعة للنظام، ولا شك في أن سوء إدارة العلاقات وفشل الإستراتيجيات الأمنية من قبل النظام ومن قبل "قوات سوريا الديمقراطية" قد تسببا في تدهور الأوضاع الأمنية وتهديد الاستقرار، إذ إن "قسد" تتبع أسلوباً عشوائياً في اعتقال السكان المحليين وفي الإفراج عن أعضاء سابقين من تنظيم "داعش" وإعادة دمجهم مقابل اتفاقية "عدم اعتداء" متبادلة مع القبائل، الأمر الذي يمنح التنظيم المتطرف فرصة سانحة لاستعادة دوره في دير الزور.

أما من جهة النظام؛ فتوقعت الدراسة أن يزداد الشقاق بين اللواء (17) و"ميليشيا الدفاع الوطني" طالما بقي جهام واللواء غسان محمد في منصبهما، الأمر الذي سيضعف قدرة النظام على محاربة تنظيم "داعش"، وقد يدفع ذلك بالسكان المحليين للتواصل مع التنظيم المتطرف لوقف الهجمات.

في هذه الأثناء؛ يعمل تنظيم "داعش" على تكرار إستراتيجيته السابقة التي اتبعتها شمال شرق سوريا، في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، والتي تتمثل في الاستفادة من ضعف السلطات الحاكمة وعجزها عن توفير الدعم الأمني لدفع العشائر المحلية إلى إبرام صفقات معه، الأمر الذي سيعزز انقسام القوى المحلية ويمنح التنظيم الفرصة التي يبحث عنها للانتشار في المنطقة من جديد.

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

ترجمات

توفير خدمات الترجمة ونشر التقارير والأبحاث ذات الأهمية السياسية والعسكرية في الشأنين السوري والخليجي.

9 نوفمبر 2020

المركز الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفع صناع القرار بمعلومات نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية، بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com